وقد طبَّق النازيون عملية تحييد اللغة هذه ببراعة فائقة حتى لا يظهر جُرْمُهم. فالإبادة النازية هي «الحل النهائي» (تصبح «التطهير العرقي» عند الصرب)، و«أفران الغاز» هي «الأدشاش»، وكان الضحايا يرسلون إلى معسكرات الإبادة «لإعادة تأهيلهم». وقد تبنى الصهاينة نفس الأسلوب في فلسطين، فهم لم يكونوا «مستعمرين مغتصبين للأرض»، وإنما كانوا «روواداً» (يستكشفون أرضاً جديدة). وهم لم يأتوا مع الهجمة الاستعمارية على آسيا وإفريقيا، وإنما «عادوا» بسبب حنينهم لأرض الميعاد. والأرض المغتصبة ليست «فلسطين»، وإنما هي «إرتس يسرائيل» (أرض الأجداد). والذين قُتلوا وطُردوا ليسوا «العرب»، وإنما «الجماعات غير اليهودية» كما يقول وعد بلفور. . وهكذا ضاع الوطن بعد إعادة تسميته (وبالمناسبة حينما عادت منظمة التحرير الفلسطينية، فهي لم تعد إلى فلسطين، وإنما عادت إلى «غزة وأريحا»!).

ونفس التلاعب اللغوي من خلال تحييد المصطلح يظهر مع الاستعمار الغربي في المرحلة الحالية، فهو يسمي نفسه في الوقت الحاضر «النظام العالمي الجديد». وهو «لا يغزو الشعوب أو ينهبها»، وإنما يعقد معها «اتفاقيات اقتصادية»، أو يستصدر قرارات من الأمم المتحدة «لتأديبها» باسم القانون الدولي. وهو دائماً يدافع عن «حقوق الإنسان» بطريقة انتقائية بالغة الدلالة .

ومن أهم الدوال التي لا مدلول لها في الحضارة الغربية كلمة «يهودي»، فهي كلمة لم تكن واضحة المعالم منذ البداية (اليهودي هو من يؤمن باليهودية، أو من وُلد لأم يهودية؟!)، واليهودية التي تُعد النقطة المرجعية هي تركيب جيولوجي لامركز له، ولا يحوي داخله معيارية محددة (فهي تشبه النص ما بعد الحداثي!). وقد ازداد إبهامها وغموضها منذ عصر النهضة في الغرب ؛ إذ بدأت تفقد أي مضمون محدد لها. وتصاعدت الأزمة منذ منتصف القرن التاسع عشر مع ظهور اليهودية الإصلاحية، ثم المحافظة، واليهودية التجريبية، وهي مذاهب دينية يهودية علاقتها باليهودية الأرثوذكسية واهية إلى أقصى حد، ومع هذا يشكل أتباع هذه